كلية الآداب ـ قسم التاريخ

الحرف والصناعات في بغداد

من بداية العصر العباسي الثاني حتى نهاية عصر السلاجقة

(٢٣٢هـ ـ ٦٥٦هـ)

رسالة مقدمة من أجل نيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إعداد الباحث :

يحيى عمر أحمد القويضي

إشراف :

أ.د محمود إسماعيل
أستاذ التاريخ الإسلامي المتفرغ
بقسم التاريخ ، كلية الآداب
جامعة عين شمس

أ.د محاسن الوقاد
أستاذ التاريخ الإسلامي
والحضارة الإسلامية
رئيس قسم التاريخ، كلية الآداب
جامعة عين شمس

٢٠١٦م

كلية الآداب ـ قسم التاريخ

صفحة العنوان

اسم الباحث : يحيى عمر أحمد القويضي

الدرجة العلمية : الدكتوراه

القسم : التاريخ

الكلية : الآداب

سنة المنح : ٢٠١٦م

كلية الآداب ـ قسم التاريخ

رسالة دكتوراه

اسم الطالب : يحيى عمر أحمد القويضي

عنوان الرسالة : الحرف والصناعات في بغداد من بداية العصر العباسي الثاني حتى نهاية عصر السلاجقة (٢٣٢-٦٥٦هـ) .

الدرجة : الدكتوراه

لجنة الإشراف :

أ.د محمود إسماعيل عبدالرازق	**أستاذ التاريخ الإسلامي المتفرغ بقسم التاريخ، كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ، مشرفا رئيسا**
أ.د محاسن محمد الوقاد	**أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية، رئيس قسم التاريخ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس مشرفا مشاركا**

تاريخ البحث : / /

الدراسات العليا

ختم الجامعة **أجيزت الرسالة بتاريخ ٢٠١٦/١٠/٢٣**

موافقة مجلس الكلية **موافقة مجلس الجامعة**

/ /٢٠١٦م **/ /٢٠١٦م**

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــــداء

إلى والدي

عمـر أحمـد القـويضـي

الذي أسس أسرتنا الكبيرة، ثم وهبها عمره

شكرا على كل تلك التضحيات

شكر وتقدير

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على عبده الذي اصطفى، وبعد ..

أتقدم بأسمى معاني الشكر والعرفان بالجميل لعضوي هيئة الإشراف الموقرة :

أ.د محمود إسماعيل عبدالرازق المشرف الرئيس

أ.د محاسن محمد علي الوقاد المشرف المشارك

على كل ما قدماه لي من احتضان، وتوجيه، ونصح، وإرشاد، وتقويم، وتقييم، طيلة فترة تتلمذي على آياديهم الكريمة، و وصولا إلى ظهور هذه الرسالة بصورتها النهائية .

وأتقدم بالشكر الجزيل لعضوي هيئة المناقشة المحترمة :

أ.د إبراهيم عبدالمنعم سلامة

أ.د آمال محمد حسن

لقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وتجشمهما عناء القراءة والسفر، ولما أبدياه من ملاحظات كان لها أثرها الإيجابي في استكمال إنجاز هذا العمل.

والشكر موصول إلى كل من قدم لي يد المساعدة، بأي صورة، أو شكل، وفي أي مرحلة من مراحل كتابة هذا البحث.

وآخر دعوانا، أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	**المقدمة**	أ- ي
٢	**التمهيد:**	
	أولا : الحرفة والصناعة لغة واصطلاحا.	٠٢
	ثانيا : الحرف والصناعات في بغداد خلال العصر العباسي الأول	٠٦
٣	**الفصل الأول: مقومات النشاط الحرفي والصناعي في بغداد**	١٧
	أولا: المعادن	١٩
	ثانيا: الإنتاج الزراعي والرعوي	٢٥
	ثالثا: مصادر الطاقة	٣٣
	رابعا: تأثير النهضة الصناعية	٣٦
٤	**الفصل الثاني: أنواع الصناعات في بغداد**	٤١
	صناعة النسيج	٤٣
	صناعة الصباغة	٥٠
	صناعة الورق	٥٣
	صناعة العطور	٥٨
	صناعة الخزف والزجاج	٦٣
	الصناعات المعدنية	٦٩
	صناعات أخرى	٧٥
٥	**الفصل الثالث: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والإدارية للصناع والحرفيين**	٨٠
	أولا: الانتماء الإثني	٨١
	ثانيا: الوضع الاقتصادي	٨٥
	ثالثا: ظهور الانتماء الحرفي، وتكوّن الأصناف الحرفية	٨٨

	رابعا: المحتسب وعلاقته بالحرف والصناعات	١٠٦
٦	**الفصل الرابع: النشاط السياسي للحرفيين والصُنّاع**	١٠٩
	أولا: التداخل بين شريحة الحرفيين والصناع، وطبقة العامة	١١٠
	ثانيا: الحرفيون والصناع وموالاة السلطة	١١٤
	ثالثا: الحرفيون والصناع ومعارضة السلطة	١١٨
	رابعا: تنظيمات الشطّار والعيارين	١٢٥
٧	**الفصل الخامس: ثقافة الحرفيين والصناع**	١٣٣
	أولا: الآداب	١٣٧
	ثانيا: الفنون الشعبية	١٤٢
	ثالثا: فكر الفرق الدينية	١٤٦
	رابعا: التصوف	١٥٤
٨	**الخاتمة**	١٦١
٩	**ثبت المصادر والمراجع**	١٦٦
١٠	**المخلص العربي**	١٨٩
١١	**المخلص الإنجليزي**	١٩٢

المقدّمـــــة

المقدمة

شهدت مدينة بغداد خلال العصر العباسي بمراحله المختلفة، قيام نهضة حضارية مزدهرة شملت شتى مناحي الحياة، وقد تضافرت عديد من العوامل بحيث أسست معاً البناء العام لهذه الحضارة في جانبيها: المادي والمعنوي، ولا شك أن النشاط الصناعي في المدينة كان له دور كبير في ذلك، بما قدمه من سلع وخدمات عبرت في مجملها عن الجانب المادي لهذه الحضارة أبلغ وأحسن تعبير، من خلال ما أبدعته وأتقنته هذه الصناعة من منتجات ومهارات.

توافرت لمدينة بغداد عديد من المقومات التي أسهمت عبر تفاعلها مع بعضها في قيام نهضة صناعية مزدهرة، فلما كانت المدينة قد أسست منذ البدء لتكون عاصمة للدولة، فإن هذا الحال وفر لها فرصة النشأة المنظمة المخطط لها من أجل ضمان النهوض والنمو والازدهار، بما في ذلك تخصيص فضاءات كافية لممارسة الأنشطة الاقتصادية عامة ومن ضمن ذلك النشاط الصناعي.

كما ترتب على هذه النشأة المنظمة استقطاب الأيدي العاملة الماهرة من مختلف أنحاء الدولة، وتوطينها في بغداد، ما مكنها من امتلاك المهارات والخبرات اللازمة لقيام حركة صناعية مزدهرة.

ومن المزايا الأخرى التي ساعدت المدينة – كونها العاصمة – على احتضان نشاط صناعي مزدهر، أنها كانت المقصد والمستقر الذي تجلب إليه أموال الجبايات من مختلف أقاليم الدولة، الأمر الذي رفع من مستوى المعيشة لطبقة من أهلها، بحيث ترتب على ذلك شيوع نمط الاستهلاك الترفي، ما قاد إلى نشوء الصناعات التي تلبي حاجات هذا النمط الاستهلاكي وازدهارها.

ترتب أيضا على كون مدينة بغداد عاصمة للدولة، أن أصبحت هي العقدة الرئيسة لشبكة مواصلات دولية تمتد من الصين شرقاً إلى غرب أوروبا غرباً، ومن بلاد الروس شمالاً، إلى أفريقيا ما وراء الصحراء جنوباً، أي أنها شبكة طرق تغطي كل أجزاء العالم المعروفة في تلك الآونة، الأمر الذي أدى إلى سهولة تدفق الخامات

والسلع والخبرات باتجاه بغداد، وسهولة وصول منتجات المدينة إلى أسواق التصريف، بكل ما يعنيه ذلك من ازدهار ورواج ينعكس على النشاط الصناعي في المدينة، وقد عززت الجغرافيا هذه الميزة إذ حظيت بغداد – بحكم موقعها – بشبكة مواصلات نهرية كانت من أهم الداعمين في مسألة ربط المدينة بشبكة المواصلات الدولية، إضافة إلى الاستفادة من جريان الأنهار بوصفها طاقة محركة في بعض الصناعات.

كل هذه العوامل تفاعلت مع بعضها في نطاق جغرافيا المدينة، وأدت إلى قيام حركة صناعية وحرفية مزدهرة شملت كافة الصناعات المعروفة في ذلك الزمن، وأنتجت سلعاً وخدمات على درجة عالية من الجودة وإتقان الصنع، حتى أنها في بعض المراحل تخطت نطاق الاستهلاك المحلي ودخلت ضمن السلع المتداولة والمطلوبة في التجارة الدولية.

ولما كانت الحرف والصناعات لا تتحقق وجوداً دون وجود الحرفيين والصناع، فإن هذه الدراسة ستتطرق إلى هذه الشريحة من حيث تكوينها الاجتماعي والاثني، وأوضاعها الاقتصادية، وأشكال التنظيم الحرفي وهياكله التي أفرزها واقعهم، والذي أُريد به أن ينسق العلاقات بين العاملين في القطاع، وبينهم وبين الدولة والمستهلك، كما سيتناول البحث بالدراسة العلاقة بين الدولة ويمثلها المحتسب، والأصناف المهنية ممثلة للصناع والحرفيين، ثم سيتعرض البحث للنشاط السياسي لشريحة الحرفيين والصناع، حيث سنحاول رصده سواء كان نشاطاً منفرداً يخصهم وحدهم، أو كان ضمن الحراك السياسي الذي كانت عامة بغداد تخوضه في فترات زمنية متعددة.

وستختتم هذه الدراسة بمحاولة فحص ثقافة الحرفيين والصناع، وتحليلها، وتوضيح نوعية النتاج الثقافي والفكري الذي أنتجوه، ومدى مساهمتهم في الحراك الثقافي المزدهر في المدينة، وأهم الشخصيات الحرفية والصناعية التي ساهمت في هذا الحراك، سواء كان ذلك في الآداب أو الفنون أو التصوف أو فكر الفرق الدينية، مع محاولة توضيح العلاقات المضمرة بين كل هذه العناوين من جانب، والأصناف الحرفية من جانب آخر.

وستكون لهذه الدراسة خاتمة، سيحاول الباحث أن يضّمنها خلاصة ما وصل إليه البحث من نتائج، ويتمنى الباحث أن يكون فيها ما يثير بعض التساؤلات، بقدر ما يرجو أن تحمله من إجابات، إذ لو أمكنني الله أن أثير التساؤل حول بعض النقاط، وأشير إلى بعض المناطق التي تستحق الإضاءة البحثية، عندها يمكن الزعم بنجاح هذه الدراسة، وتقديم خدمة للبحث العلمي، إذ ما البحث العلمي في جوهره سوى طرح الأسئلة، والبحث عن إجاباتها، والله المستعان.

أما عن أهمية الموضوع، فقد تزايد في العقدين الأخيرين الاتجاه نحو التركيز على دراسة التاريخ الاقتصادي، لأن هذه النوعية من البحوث تقدم إجابات أكثر واقعية للأسئلة التاريخية المختلفة، وهذا الموضوع الذي اخترته للبحث يدخل . فيما أزعم . في هذا السياق، إذ إنه في المحصلة الأخيرة يعد محاولة للمساهمة في كتابة التاريخ الاقتصادي لعاصمة الخلافة إبان العصر العباسي.

من جانب آخر، فإن البحث بحكم طبيعته سيتجه لدراسة شريحة الحرفيين والصناع، التي تغيب عن الظهور في مدونات التاريخ التقليدية والتي تعنى بالحديث عن الجانب السياسي عادة، ومن هنا فإن هذه الدراسة تكتسب بعض الأهمية من خلال محاولتها المساهمة في التأريخ لمن غيبوا عن صفحات التاريخ، رغم أهمية دورهم المجتمعي والحضاري.

ولعله من الجوانب الأخرى التي تضفي صفة الأهمية على هذه الدراسة، أنها تحاول توضيح الدور الكبير الذي لعبته شريحة الحرفيين والصناع داخل المجتمع البغدادي على الصعيدين المادي والفكري، مادياً بما قدمته من سلع وخدمات، وفكرياً من خلال تفاعلها مع مجتمعها المحلي والإقليمي، ومشاركتها البارزة والريادية في الحراك الثقافي والفكري الذي كان يعتمل بشتى الاتجاهات والتيارات والاجتهادات داخل مدينة بغداد.

هذه هي المستويات الثلاثة التي يرى الباحث أنها تمنح هذه الدراسة صفة الأهمية: مستوى المساهمة في كتابة التاريخ الاقتصادي الإسلامي، ومستوى التأريخ للفئات المغيبة، ومستوى إبراز الدور الحضاري الذي قامت به الشريحة محل البحث.

تعود أسباب اختيار هذا الموضوع كمجال للبحث، إلى أسباب مشتقة مما سبق ذكره، فأولاً – وعلى حد علمي – لم يسبق دراسة الحرف والصناعات في بغداد خلال العصر العباسي، دراسة أكاديمية متخصصة وفق حدود الزمان والمكان، وكل ما ورد عن الموضوع كان ضمن الحديث عن الصناعة في العصر العباسي ككل، وبالتالي فقد اخترت الموضوع لما فيه من جدة وتركيز بحثي.

أيضاً، فإن الباحث يرى أن دراسة التاريخ ليست ترفاً فكرياً، أو معيناً لانتهال الخبرات، أو واجباً أكاديمياً بحتاً فحسب، بقدر ما هي رسالة توعية تنويرية نهضوية تهدف إلى الرقي بالمجتمع، من خلال تعزيز الوعي العام، ومن هنا فإن التأريخ للطبقات الشعبية، وإبراز جهودها، وأدوارها المجتمعية المؤثرة عبر مراحل التاريخ، من شأنه أن يساهم أولاً في رد الاعتبار لهذه الفئات التي غُبنت وسُكِتَ عنها في المدونات التاريخية، ومن ناحية أخرى، فإن هذا النوع من البحوث يهدف إلى تعريف هذه الشرائح المجتمعية بأهميتهم وقدراتهم الحقيقية التي تغيب عن النظر تحت حُجب كثيفة من الشعور الفردي بالضعف واللاجدوى.

وفيما يخص الدراسات السابقة حول الموضوع، فإنه من خلال البحث في قوائم الرسائل الجامعية التي تمكن الباحث من الوصول إليها، وكذلك من خلال البحث عبر شبكة الإنترنت ، لم يعثر الباحث – حتى ساعته – على أي دراسة مخصصة للبحث في موضوع الحرف والصناعات في بغداد خلال العصر العباسي ، لكن ذلك لا يمنع القول، إنه ثمة بحوث مختصرة، ضمن بحوث أشمل تطرقت للموضوع ، وقد يكون من أشهرها ما كتبه عبد العزيز الدوري، ضمن كتابه تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، الذي هو في الأصل رسالة دكتوراه ، إذ خصص الفصل الثالث للحديث عن الصناعة في العراق ، وقد ابتدأه بالكلام حول تصنيف العمال حسب وضعهم الاجتماعي من ناحية الرق والحرية ، ثم يثنى بالحديث عن الحركات الثورية التي اشترك فيها أو قادها العمال ، ويتناول كذلك في بحثه أفكار إخوان الصفا حول العمل والعمال ، ويتطرق إلى التنظيمات العمالية التي عرفت بالشطار والعيارين، وينهى كلامه بعرض مختصر لأهم الصناعات التي

ظهرت في تلك الفترة ، ورغم الاختصار الشديد الذي عالج به الدوري موضوع الصناعة في العراق – ويمكن التماس العذر له في ذلك – إلا أنه يقدم مفاتيح جيدة لمن يأتي بعده من الباحثين بقائمة أولية بالمصادر المرتبطة بالموضوع ، وكذلك هناك بحث آخر للدوري منشور في كتابه أوراق في التاريخ الاقتصاد والاجتماعي، وهو الموسوم بنشوء الأصناف في الإسلام، إذ يقدم فيه إطلالة سريعة عن الحرف والصنائع لدى الحضارات القديمة ، ثم يتكلم عن نشوء المدن في الإسلام وكيف خصص جانب من مساحاتها كأسواق عامة تضم التجار والصناع ، وكيف نمت تلك المهن حتى تحول الانتساب إلى مهنة معينة ، يشابه النسب بمعناه الاجتماعي المعروف ، وكان ذلك إيذانا بظهور التنظيمات الحرفية، ويتطرق الدوري في بحثه هذا أيضا إلى الحسبة والمحتسب، ويقدم عرضا مختصرا عن كيفية أدائه لعمله الرقابي، ويعرض كذلك معلومات مهمة عن المهايا والأجور التي كان يتقاضاها الحرفي والصانع .

وأيضا فإنه من الدراسات السابقة التي ترتبط بموضوع هذه الدراسة ، كتاب العامة في بغداد لمؤلفه فهمي عبد الرزاق سعد ، وهو دراسة قيمة عن المجتمع البغدادي يتوقع الباحث أن يستفيد منها كثيرا ، وبالأخص في ما ورد في الفصل الرابع، المسمى بنية المجتمع البغدادي، والذي يدرس فيه المؤلف طبقات مجتمع المدينة، ويحاول أن يفسر العوامل الدافعة نحو الفرز والاصطفاف الطبقي فيها، وكذلك الفصل الخامس الذي يتحدث عن العامة ، ويقسمها إلى ثلاث فئات : عامة، ورقيق، وأهل ذمّة، وفي الفصول اللاحقة يتحدث المؤلف عن الحسبة في بغداد والتنظيمات الحرفية، ومستوى المعيشة في المدينة .

وتتلخص خطة هذا البحث في أنه سيتم تقسيمه إلى هذه المقدمة، يتلوها تمهيد، تأتي بعده خمسة فصول، فخاتمة، حيث تبتدئ **المقدمة** بالحديث عن الموضوع عبر إيراد نبذة مختصرة تشمل خطوطه العامة، ثم يتجه الكلام نحو أهمية الموضوع والأسباب التي دعتني إلى اختياره، يلي ذلك الحديث عن خطة البحث

تفصيلاً، وبعدها سيتم إيراد نبذة مختصرة عن أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث، وانتهاء بالصعوبات التي رأى الباحث أنها واجهته أثناء إعداد البحث.

يأتي بعد ذلك **التمهيد** الذي تم تخصيصه بحيث يكون مقدمة لغوية وتاريخية عن موضوع البحث، حيث سيتم فيه الكلام عن الحرفة والصناعة من الجانب اللغوي من أجل التعامل مع هذه المصطلحات بوضوح وتحديد، وفي الجزء الثاني من التمهيد سيتكلم الباحث عن الحرف والصناعات في بغداد خلال العصر العباسي الأول، وهي الفترة الزمنية التي تسبق النطاق الزمني لهذه الدراسة مباشرة، وهذا بهدف تكوين خلفية معرفية تمهد السبيل أمام قارئ الدراسة؛ ليكون فهماً موسعاً وممتداً عن موضوع البحث.

الفصل الأول الموسوم بمقومات النشاط الحرفي والصناعي في بغداد، أتى في أربعة مباحث وعناوينها: المعادن، الإنتاج الزراعي والرعوي، مصادر الطاقة وتأثير النهضة الصناعية، وهذه هي تقريباً المقومات التقنية التي نهض النشاط الصناعي البغدادي بفضلها، حيث سنتكلم في هذه المباحث عن مدى توافر هذه المقومات، وما هو الموجود منها في البيئة المحلية للمدينة، وما الذي كان يتم استجلابه من الأقاليم الأخرى وكيف تم التعامل مع إشكالية توفير الطاقة المشغلة للصناعة، ومدى تأثير النهضة العلمية والحضارية على العملية الصناعية في بغداد.

أما **الفصل الثاني** فقد خصصته للحديث عن أبرز الصناعات التي قامت في المدينة من حيث نشأتها، وتقنيات الإنتاج، ومصادر الطاقة التي استخدمتها، وأنواع الإنتاج التي قدمتها، والمراحل التي تمر بها العملية الصناعية، منهياً هذا الفصل بمحاولة تقديم قراءة تاريخية للعوامل العامة التي كانت تؤثر في الصناعة البغدادية ازدهاراً وركوداً.

وقد خُصص **الفصل الثالث** لدراسة الأوضاع العامة للحرفيين والصناع البغاددة، حيث سيتم دراسة انتماءاتهم الإثنية، وأوضاعهم الاقتصادية وصولاً للتنظيمات الحرفية التي نشأت لديهم، ومدى فاعلية هذه التنظيمات – التي عرفت بالأصناف المهنية – في تنظيم شئون العاملين في هذا القطاع، ويختتم هذا الفصل